دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	صيانة وترميم المخطوطات والوثائق الإسلامية
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	الفقي، محمد عبدالقادر
المجلد/العدد:	س27, ع321
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1992
الشهر:	جمادي الأولى / نوفمبر
الصفحات:	26 - 33
رقم MD:	443244
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	ترميم المخطوطات ، التراث الإسلامي، المخطوطات العربية الإسلامية، الوثائق التاريخية، البحث العلمي، صيانة المخطوطات ، أسباب التلف، أصالة التوثيق، التلوث البيئي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/443244

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المخطوطات والوثائق هما الوعاء التاريخي للتراث الفكري والحضاري لأي أمة من الأمم. وهما السجل الأمين للاحداث التاريخية التي تمر بها الشعوب.
ولقد نجم عن الحضارة الاسلامية نتاج فكري عظيم، تناقلته الأجيال ودونته على مر أربعة عشر قرنا من الزمان، وفاق في غزارته وتنوعه نتاج اي حضارة اخرى من حضارات الانسان التاريخية المعروفة، وللاسف، فإن هذا القدر الهائل من التراث الفكري الاسلامي مايزال يقبع اغلبه على رفوف المكتبات ودور المحفوظات، وفي أقبية المساجد ودهاليز المتاحف، وخزائن الكتب المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، دون أن ينال الرعاية اللازمة والعناية المطلوبة للمحافظة عليه.

بقلم المهندس: محمد عبدالقادر الفقي

صيانة وترميم المخطوطات والوثائق الاسلامية

وعلى الرغم مما تعرضت له المخطوطات والوثائق الاسلامية من الضياع، ومن اعمال النهب والاحراق والتلف، نتيجة الصراعات المذهبية، ومن جراء الغزوات والكوارث الطبيعية التي حاقت بديار الاسلام عبر القرون، فقد انحدرت الينا محصلة وافرة من المخطوطات، يزيد حجم ما اكتشف منها وجرى رصده وتحقيقه تحقيقا علميا، على حجم ما يظهر من جبل جليدي فوق سطح الماء. ومايزال غبار القرون يغطي تلك الكنوز الهائلة من المخطوطات، وعوامل الاتلاف والافساد الطبيعية وغير الطبيعية تتسبب في تدمير محتوياتها.

وغني عن الذكر أن في هذه المخطوطات والوثائق ما يعكس جوانب الفكر الاسلامي الذي تعاظم على مر العصور. كما أن هذه المدونات تعد خير دليل على شخصية الأمة الاسلامية، فهي تبرز اهتمامها بالعلم والادب والاخلاق، وتبين مدى حرية الفكر في المجتمع الاسلامي، ومدى سماحة المسلمين في تعاملهم مع الملل الاخرى. وتحتوي المخطوطات والوثائق على معلومات هامة في مجالات العقيدة والشريعة والاقتصاد والفقه والاحاديث وتفسير القرآن والسير والطب والفلك والجغرافيا والاحكام والمعاهدات

صفحتان من مخطوطة طبية مخطوطة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا

والعقود، وغير ذلك من الجوانب العلمية والفكرية والسياسية.

تعدد خامات الكتابة:

وقد تمت كتابة المخطوطات والوثائق الاسلامية على خامات مختلفة ذات أصل نباتي أو حيواني أو معدني. فعند بزوغ فجر الاسلام، كتب المسلمون على الرق من الجلد، والعظام، وسعف النخيل، والحجارة البيضاء الخفيفة المسطحة. وحين تمكن المسلمون من هزيمة جيوش الصين التي كانت قد احتلت سمرقند، استطاعوا أن يعرفوا من أسرى الصينيين يومذاك أسرار صناعة الورق. ونظرا لكثرة انتاج سمرقند لنبات الكتان في ذلك الوقت، بالاضافة الى توفر الماء النقي الصافي، فقد ساعد ذلك على نشوء صناعة الورق.

ومع وصول القوافل الى بغداد ودمشق ومصر في القرن الثالث الهجري، انتشرت هذه الصناعة في كافة أرجاء العالم الاسلامي، وأصبح الورق المادة الاساسية للمخطوطات والوثائق الاسلامية.

الاسلام والحث على توثيق المعاملات والمعلومات:

إن الدارس لتاريخ الحضارة الاسلامية سوف يتبين له بجلاء أن الاسلام قد عني عناية خاصة بتوثيق

" يؤدي الضوء الى اصفرار الورق وإزالة بعض الالوان والنقوش والاحبار الحساسة للضوء "

المعلومات . وقد أقسم القرآن الكريم بأدوات التوثيق، فقال سبحانه: ﴿**ن والقلم وما يسطرون**﴾ [القلم/١]. كما دعا الاسلام في أطول آية في القرآن إلى توثيق العقود والديون بكتابتها، فقال تعالى:

﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولايبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لايستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾ [البقرة/ ٢٨٢]

ورغم براعة العرب الأوائل في الحفظ عن ظهر قلب، إلا أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يهمل كتابة القرآن في صحائف من العُسُب واللخاف (أي جرائد النخل والأحجار البيضاء الخفيفة المستعرضة) وقد كان الكتاب الذين يقومون بأداء هذه المهمة معروفين باسم **كتّاب الوحي**، ومن بينهم: سعد بن عبادة، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت.

وقد بدأت كتابة القرآن منذ المراحل الأولى للدعوة في مكة. وفي قصة إسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ نجد دليلا على ذلك. فقد كان خباب بن الأرت موجودا عند فاطمة بنت الخطاب، اخت عمر، وكان يقرئها القرآن من صحيفة معه، فلما شعرا بعمر أخفيا الصحيفة عنه. ومن هذه القصة يتبين لنا أن آيات القرآن الكريم كان يتم توثيقها كتابة قبل الهجرة ببضع سنين.

ومع اتساع نطاق الدعوة إلى الاسلام، ازداد عدد كتاب الوثائق. وقد كان عدد الكتاب المعروفين بكتابتهم للرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعة وأربعين كاتبا. وكانت مهمتهم هي تدوين آيات الذكر الحكيم وأحاديث المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكتابة رسائله الى الملوك والأمراء، وغير ذلك من الموضوعات، مثل احصاء المسلمين. وقد أورد الخزاعي في (تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، حديثا عن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام**»، **فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل(١)**

وذكر القلقشندي في (صبح الأعشى، الجزء الثاني) انه حين توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان القرآن مكتوبا في العسب واللخاف، فجمع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذه الاشياء وكتبوا منها المصحف الأصلي في الرق.

صفحة من مخطوطة مصحف كريم

وقد حرص خلفاء المسلمين وملوكهم وامراؤهم وعلماؤهم على تدوين الأحكام والمعلومات المختلفة والمعاهدات والبيوع وغيرها. وفي العصر العباسي، ازدهرت صناعة تأليف الكتب وترجمتها. وانتشرت المكتبات في شتى ربوع ومدن العالم الاسلامي. وتؤكد المصادر أن قرطبة وحدها، كانت تضم سبعين مكتبة، وأن عدد المجلدات التي حوتها مكتبة جامع قرطبة بلغ في عهد الملكة

" ازدادت مخاطر تلف المخطوطات والوثائق القديمة مع تفاقم مشكلة التلوث البيئي في العصر الحديث "

صبح امرأة الحاكم المستنصر بالله، وأم المؤيد بالله، سبعمائة ألف مجلد.

أسباب تلف المخطوطات والوثائق الاسلامية:

تمثل المخطوطات والوثائق الاسلامية إرثا حضاريا وتاريخيا هاما، وتعد هذه المخطوطات معلما خالدا من معالم الثقافة الانسانية. ولذلك، فإن المحافظة عليها تعتبر ضرورة حيوية وحتمية نظرا لما لها من قيمة دينية وفكرية وتاريخية وحضارية وأثرية.

وحتى نتعرف على طرائق المحافظة على هذه الوثائق والمخطوطات، لابد لنا من وقفة سريعة نستعرض فيها أهم أسباب وعوامل تلفها. ويمكن تقسيم هذه العوامل إلى أربعة أقسام: عوامل طبيعية، وعوامل كيميائية، وأخرى بيولوجية، ثم عوامل يتسبب فيها الانسان.

أولا : العوامل الطبيعية:

يمكن حصر هذه العوامل في ثلاثة عناصر رئيسية هي: الرطوبة، والحرارة، والضوء.

ولما كانت معظم الوثائق والمخطوطات الاسلامية محفوظة في مكتبات عتيقة وفي أقبية بعض المساجد وفي خزائن بعض الأسر، فإنها تتفاوت في درجة تأثرها بالعوامل الطبيعية، وفقا لظروف تخزينها والبيئة الطبيعية المحيطة بها.

وللأسف، فإن معظم المخطوطات والوثائق الاسلامية محفوظة في أماكن غير ملائمة لوقايتها من تأثير عوامل الاتلاف الطبيعية. ولما كانت النسبة الكبرى من هذه المدونات ورقية، فإن ارتفاع الرطوبة النسبية في البيئة المحيطة للوثائق والمخطوطات يتسبب في زيادة قدرة المواد العضوية المكونة للورق على امتصاص الماء من الجو. ويؤدي ذلك الى إضعاف متانة الورق، وتأكسد الاحبار المستخدمة في الوثائق، مما يؤدي الى طمس معالم الكتابة وظهور بقع بنية اللون على الورق. وتساعد الرطوبة على اصابة الورق بالفطريات التي تعمل على تحلله. كما انها تتسبب في التصاق الاتربة والمواد العالقة في الجو بصفحات المخطوطات والوثائق، وهو أمر يؤدي إلى اتساخها وتلفها.

وبالنسبة للحرارة، نجد أنها ذات تأثير ضار، سواء أكانت مرتفعة أم منخفضة. فالحرارة بوجه عام تؤثر في لون الورق والرق مع مرور السنوات وتعاقب الأيام. والورق ــ على سبيل المثال ـ يتغير لونه بسبب الحرارة من الأبيض إلى الأصفر. وهو في مثل هذه الحالة يصبح هشا قابلا للكسر.

أما الضوء، سواء أكان ناجما عن مصدر طبيعي كضوء الشمس المباشر، أم عن مصدر صناعي كأضواء المصابيح الكهربائية، فإنه يتسبب في تحلل وتكسير التراكيب الجزيئية للمواد العضوية المكونة للورق والرق والاشكال الأخرى من الوثائق، ومن ثم تصبح متانة مادة المخطوطة أو الوثيقة ضعيفة جدا. وعلاوة على ذلك، يؤدي الضوء إلى اصفرار الورق وإزالة بعض الألوان والنقوش والأحبار الحساسة للضوء.

ثانيا: العوامل الكيميائية:

تتمثل هذه العوامل في الاتربة والغبار والملوثات الغازية الموجودة في البيئة المحيطة بأماكن حفظ واختزان الوثائق والمخطوطات.

إن ذرات الغبار والأتربة وحبيبات الكربون الدقيقة المعلقة في الهواء. التي تنتج عن الاحتراق غير الكامل للوقود ـ وكذلك الألياف الرفيعة من القماش والورق ـ المتطايرة من مصانع الانسجة والورق ـ كل ذلك يترسب فوق أسطح الكتب والمخطوطات والوثائق. وفي غياب عمليات النظافة الدورية، فإن المواد الكيميائية المكونة لهذه الاتربة والألياف تتفاعل مع السليلوز الداخل في صناعة

> " تعد المخطوطات الباقية حتى الآن خير دليل على شخصية الأمة الاسلامية وتبرز اهتمامها بالعلم والأدب والأخلاق "

« تم توثيق آيات القرآن الكريم كتابة قبل الهجرة ببضع سنين ولم يترك النبي ﷺ الأمر للحفظ عن ظهر قلب فقط »

ورقة من مصحف كريم مخطوط، كتبت بالحبر، وزينت بالألوان والذهب

الورق وتتسبب في اتلافه، ومن ثم اتلاف المخطوطات.

ومع تفاقم مشكلة التلوث البيئي في العصر الحديث، ازدادت مخاطر تلف المخطوطات والوثائق القديمة بفعل الغازات الضارة الموجودة في الهواء، مثل ثاني اكسيد الكبريت والاوزون. فهذه الغازات تدمر ورق المخطوطات وتطمس الأحبار والألوان.

ثالثا: العوامل البيولوجية:

هناك بعض أنواع مختلفة من الأحياء البيولوجية تتسبب في تدمير واتلاف الوثائق والمخطوطات، مثل الصراصير والنمل والحشرات الثاقبة والسمك الصغير ودودة (الكناي). والبعض من هذه الاحياء يتغذى على الورق، او يسبب نخرا فيه. كما يتغذى البعض الآخر على المواد الغروية المستخدمة في لصق المجلدات.

رابعا: العوامل التي تحدث بسبب الانسان:

من اهم هذه العوامل: الحرائق

والسرقات. وقد تعرض قدر هائل من المخطوطات الاسلامية، على مر القرون، للحرائق المتعمدة وتذكر المصادر التاريخية أن الاسبان عندما استولوا على قرطبة أحرقوا في يوم واحد نحو سبعين خزانة للكتب، فيها ما يزيد على مليون وخمسين ألف مجلد. وما فعله الاسبان في قرطبة فعلوه أيضا في بقية المدن الأندلسية الأخرى.

وفي الوقت الحالي، تتعرض المخطوطات والوثائق الاسلامية الى مخاطر الحريق الناجمة عن الاهمال أو بسبب حدوث التماس الكهربائي في اماكن خزن هذه المخطوطات.

وكانت السرقات ـ وما تزال ـ عاملا من أكبر العوامل التي تسببت في ضياع ثروات هائلة من الكنوز التي تحفل بها المكتبات الاسلامية العريقة. وقد شهد القرن الحالي ـ وبخاصة في بداياته ـ بحثا محموما من قبل المستشرقين والمهتمين بالتراث الفكري الاسلامي ـ عن المخطوطات والوثائق العربية والاسلامية. وفي ظل التيسيرات التي وفرها المستعمرون الاوروبيون لهؤلاء المستشرقين، وفي ظل الجهل الذي كانت تعيش فيه أمتنا وعدم تقديرها لتراثها المخطوط، تمكن المستشرقون من تهريب آلاف المخطوطات من شتى ربوع العالم الاسلامي الى اوروبا وأمريكا. وقد باع بعض المسلمين المخطوطات المتوافرة لهم بأثمان بخسة لهواة جمع المخطوطات الاجانب، دون أن يكون هذا البعض على دراية ووعي بأهمية هذه المخطوطات.

كما تعرضت كميات كبيرة من المخطوطات الاسلامية لأعمال التدمير المتعمدة، كما فعل الصليبيون حينما غزوا فلسطين وكما فعل التتار والمغول حينما اجتاحوا المشرق الاسلامي. وحين سقطت بغداد تحت سنابك خيل (هولاكو)، راحت

> " المخطوطات والوثائق هما الوعاء التاريخي للتراث الفكري والحضاري لأي أمة من الأمم "

قواته تلقي ملايين المخطوطات ـ التي كانت تحفل بها مكتبات عاصمة الخلافة الاسلامية ـ في عرض نهر دجلة، حتى أن مياه هذا النهر ظلت أياما سوداء اللون بسبب ذوبان أحبار هذه المخطوطات.

طرائق الترميم والصيانة:

تتفاوت طرائق ترميم وصيانة المخطوطات والوثائق الاسلامية تفاوتا كبيرا حسب حالتها وظروف بيئة التخزين. ويمكن معالجة أمراض الرطوبة التي تصيب هذه المدونات بواسطة محلول كربونات الماغنسيوم. وتتراوح الرطوبة النسبية المثالية اللازم توافرها في اماكن اختزان المخطوطات بين ٥٥ و٦٠ في المائة. ويمكن التحكم في نسبة الرطوبة بالمكتبات وغرف اختزان المخطوطات باستخدام اجهزة خاصة تتحكم آليا في تشغيل أجهزة خفض الرطوبة أو رفعها.

ودرجة الحرارة المثلى للحفاظ على الوثائق هي تلك التي تقع بين ١٨ و٢٤ درجة مئوية. ويمكن استعمال أجهزة قياس وتسجيل درجات الحرارة وذلك للتحكم في الحرارة بغرف اختزان المخطوطات من خلال ربط هذه الاجهزة آليا بمعدات التكييف.

ويمكن معالجة الوثائق والمخطوطات

المصابة بالاصفرار الناتج عن تأثير الحرارة بمواد كيميائية معينة يدخل فيها الكلور، ثم تغسل بعد ذلك بالمياه لازالة بقايا الكلور.

وللمحافظة على المخطوطات من تأثير الضوء، يجب حفظها في أماكن بعيدة عن تأثير ضوء الشمس المباشر، مع استخدام مصابيح كهربائية ضعيفة، واستعمال الزجاج العازل الذي يحول دون وصول الاشعة فوق البنفسجية إلى خزائن الحفظ.

ويجب أن تكون أماكن اختزان الوثائق بعيدة عن مصادر التلوث البيئي. ويمكن استخدام اجهزة خاصة لتنقية الهواء الداخل الى هذه الأماكن، حيث تتمكن هذه الأجهزة من امتصاص غاز ثاني أكسيد الكبريت والملوثات الأخرى من الهواء. وهناك أجهزة أخرى يمكن استعمالها لامتصاص وازالة الأتربة والغبار من غرف حفظ المخطوطات.

" تمكن المستشرقون - بسبب التسهيلات التي حصلوا عليها من المستعمر - من تهريب آلاف المخطوطات من شتى ربوع العالم الاسلامي الى اوروبا وأمريكا "

وتفيد عمليات النظافة المستمرة في تقليل مخاطر تلف المخطوطات، سواء أكانت هذه المخاطر ناجمة عن الاتربة والغبار أم الحشرات والاحياء الصغيرة التي تهاجم الورق. وفي الحالات التي يكون خطر الحشرات فيها ملموسا، يجب استعمال المبيدات الكيميائية التي لا يترك استخدامها آثارا على ورق المخطوطات.

كما يجب اتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث الحرائق في أماكن اختزان كتب التراث المخطوطة ومن أهم هذه الاحتياطات: منع التدخين، واستعمال مواد غير قابلة للاشتعال في تأثيث وتجهيز المباني المخصصة لحفظ الوثائق والمخطوطات، وتزويد هذه المباني بأجهزة ووسائل الاطفاء التلقائية (مثل أجهزة الأطفاء بالهالونات وثاني أكسيد الكربون) وأجهزة الانذار المبكر التي تستشعر حدوث الحرائق قبل اشتداد أوارها، مثل اجهزة استشعار الدخان.

وأخيرا، فإن الوعي بأهمية المحافظة على المخطوطات والوثائق الإسلامية أمر هام وضروري للمحافظة على البقية الباقية من هذه الكنوز التراثية. وكفانا ماتعرضت له هذه المخطوطات من أعمال تدمير وقرصنة واتلاف خلال القرون الماضية. ولعل دراسة وتحقيق وطباعة هذه المخوطات تسهم في إلقاء الضوء على مدى عظمة هذه المدونات، وتساعد على إيجاد وعي عام بحتمية الحفاظ على تراثنا المخطوط □